أضواء على المغارة الداعشية

للشيخ:

أبي المنذر الشنقيطي



أضواء على المغارة الداعشية

للشيخ/ أبي المنذر الشنقيطي (حفظه الله)

نُخْبَةُ الْفِكْرْ
جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ – أبريل ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.
يعز علينا أن نرى الجهاد –وهو الذي يُقام به الدين وتُصان به الحرمات– تُدنَّس مكانته وتُشوَّه صورته..
يعز علينا أن يكون المجاهد الذي جاء للدفاع عن الأمة والذَّود عنها سببًا في تكالب الأعداء عليها..
يعز علينا أن نرى المرء خصمًا للأمة ومنابذًا لها، ويدَّعي أنه مجاهد في سبيل الله..!

الحـــقُّ ســـهمٌ لا تَرِشْـــهُ بباطِـــلٍ ... مـا كـان سـهمُ الـمُبطِلينَ سـديدا

يعز علينا أن نرى من يوجِّه سلاحه إلى الأمة باسم الجهاد وإعلاء كلمة الله..
يعز علينا أن يوجد من يدَّعي محاربة الشيعة والنصيرية، وهو في الوقت نفسه يستبيح دماء أهل السنة ويسومهم قتلًا وذبحًا..
يعز علينا أن يكون في شباب الأمة من يعتقد أن الجهاد يعني القتل بلا تمييز، والذبح بلا رحمة، وتفجير المساجد أثناء الصلاة!
يعز علينا أن الجهاد أصبح يعني عند البعض أن تقتل نفسك وتقتل أمَّتك، وتُدمِّر ما حولك!
يعز علينا أن نرى شريعة الله التي هي سبب لحياة الناس وسعادتهم جُعلت ذريعةً لظلمهم وقهرهم وسفك دمائهم!

وَلا خَـــيرَ في الـــدُنيا وَلا في حُقوقِهـــا ... إِذا قيـــلَ طُـــلّابُ الحُقـــوقِ بُغـــاةُ

يعز علينا أن نرى شباب الجهاد بلا شيوخ، وأنصاره يركضون خلف كل ناعق، بلا فهم ولا رسوخ!
يعز علينا أن يوجد من يتغنَّى بشعارات "الخلافة" و"الدولة الإسلامية" دون أن يدرك حقيقة أهدافها وأهم مميزاتها وطبيعة الأُسس التي تقوم عليها..
يعز علينا أن تتحول جماعة من جماعات الجهاد بعد مرحلة من الجهاد والعطاء إلى جماعة منحرفة فيها تديُّن يابس!!

****

اسم "المغارة" دائمًا يذكرك باللصوص والعصابات..
لا بد للص من مغارة يأوي إليها..
يجمع فيها مسروقاته..

يحتجز فيها مخطوفه..

يقتل فيها ضحيته..

ويرتع في ظلامها الدامس بعيدًا عن أعين الآخرين..

ولا بد لهذه المغارة من باب..

ولا بد للباب من كلمة سر، وليس بالضرورة أن تكون "افتح يا سمسم" فكلمات السر كثيرة..!

إن تنظيم الدولة حوَّل مشروع "الدولة الإسلامية" إلى مغارة يمارس فيها كل أنواع البطش والإجرام، تحت مسميات كاذبة وعناوين خادعة..

وقد أردتُ تسليط الضوء على تلك المغارة والكشف عن بعض ما فيها من أوهام وأخلاط حرَّفت مسيرة الجهاد عن مسارها الصحيح، مُعرِّجًا على بعض عبارات العدناني في خطابه الذي سبق أن علَّقت عليه.

ففي بعض خطاباته السابقة كان العدناني يأتي بكلام مثل حديث الخبز[١]؛ أوله حق وآخره باطل! لكنه في هذا الخطاب بالذات كشف الأوراق وسلَّط الضوء على المغارة.

****

الجهاد في سبيل "الدولة"..!

كلمة السر التي يُفتح بها باب المغارة الداعشية هي شعار: "الدولة والخلافة"، وقد تحول مشروع الدولة عند هذا التنظيم من وسيلة إلى غاية كبرى يُضحَّى في سبيلها بالكثير من الأهداف والغايات.

إن الكثير من الدعوات الباطلة بدأت بخطاب مشروع، ثم استغلت التعصب له والغلو فيه من أجل تحويله إلى خطاب غير مشروع..

---

[١] أخرج البيهقي في (شعب الإيمان) والحاكم في (المستدرك) حديث عائشة مرفوعًا: "أكرموا الخبز".

ورُويت لهذا الحديث زيادات أخرى ضعيفة وموضوعة منها:

"أكرموا الخبز فإن الله أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله" موضوع.

"أكرموا الخبز فإن الله أنزل له بركات من السماء وأخرج له بركات من الأرض" ضعيف.

"أكرموا الخبز فإنه من بركات السماء والأرض، من أكل ما سقط من السفرة غفر له" ضعيف.

ولهذا قال يحيى بن معين: "أول هذا الحديث حق وآخره باطل"، (اللآلئ المصنوعة)، (٢/ ١٨١).

الدين الرافضي بدأ بمسألة مشروعة هي محبة آل البيت ونصرتهم، ثم استغلّ العصبية لآل البيت والغلو فيهم من أجل تأسيس دين جديد مخالف لدين الإسلام هو دين "الرافضة".

وهكذا فقد قام الجيل البغدادي من تنظيم الدولة برفع شعارات "الدولة الإسلامية"، واستغل العصبية لها والغلو فيها من أجل تأسيس تنظيم يتغنى بشعارات الدولة الإسلامية ويناقض أهدافها وغاياتها..

إنه اليوم لا يقاتل من أجل حماية بَيْضة المسلمين وإقامة الشرع، بقدر ما يقاتل من أجل إقامة دولته..

ترى ذلك جليًا من خلال شعار "باقية" الذي يردّدونه أكثر مما يردّدون كلمة الشهادة!

ومادامت الدولة "باقية" فمشروع التنظيم ناجح وقتاله مثمر، ولهذا يستحث العدناني أتباعه ويستنهض هممهم بقوله: "فأبشروا يا جنود الخلافة؛ فإن دولتكم إن شاء الله إلى قيام الساعة باقية".

فمسألة الخلافة إذًا لا تعدو أن تكون كلمة حق أُريد بها باطل!

****

إنجازات البغدادي!

تعجب كل العجب حينما ترى أشهر الصحف الغربية تصنف البغدادي على أنه هو الشخصية الأبرز في عام ٢٠١٥..

لكن سرعان ما يرحل العجب، وتفارق الدهشة عينيك عندما ترى ما حقَّقه البغدادي من إنجازات، وخاصة في هذا العام!

وهاك بعض هذه الإنجازات:

١- تمزيق صف المجاهدين في أفغانستان واليمن وليبيا، والمحاولة المستميتة لإحداث انشقاقات في الصومال وفي المغرب الإسلامي.

٢- عرقلة الجهاد في سيناء ومنعه من التمدد والانتشار؛ بسبب مبايعة تنظيم الدولة ورفع شعاراته، والناس إنما يريدون حماية أنفسهم ورفع الظلم عنهم، والانتماء لتنظيم الدولة لا يلتقي مع أهدافهم، وهذا هو السبب في ضعف الجهاد في مصر وعدم انخراط الناس فيه، مع توفر أسباب انتشاره.

٣- الدخول على الخط في الأماكن التي يوجد فيها المجاهدون وتنفيذ عمليات غامضة الهدف تخلط الأوراق وتضر بمصداقية الجهاد، كما هو الواقع في تفجير المساجد والعمليات التي يقوم بها تنظيم الدولة في اليمن مؤازرة للحوثيين بشكل غير مباشر، وإعلان الحرب على المجاهدين في ليبيا وتكفيرهم.

٤- تشويه الجهاد وتنفير الناس منه؛ من خلال ربط الجهاد بالغلو في التكفير والأعمال غير المنضبطة بالشرع، حتى غدا منهج الدولة ترسيخًا عمليًا لكل التُّهم التي كانت تُلفَّق سابقًا للمجاهدين..!

وَمَـــنْ دَعَـــا النَّـــاسَ إلى ذمِّـــه ذمّـــــوه بالحـــــقّ وبالباطـــــلِ

٥- إنقاذ النظام النصيري وإمداده بأسباب الحياة بعد أن كان على حافة الهلاك؛ وذلك من خلال إعلان الحرب على كل الفصائل المجاهدة في الشام وتكفيرهم ومحاولة القضاء عليهم.

وقد صرَّح العدناني في خطابه بذلك فقال: "سنمزق الكتائب والألوية والجيوش حتى نقضي بإذن الله على الفصائل".

وهذا التصرف حماقة سياسية كبرى، وهو دليل على أن تنظيم الدولة غير جادٍّ في محاربة الشيعة والنصيرية، فلو كان جادًا لاتخذ الأسباب المُعينة عليه، ومن أهمها التعاون مع جميع أهل السنة وتأجيل الخلاف معهم من أجل محاربة الشيعة والنصيرية، يقول نيتشه: "أفضل سلاحٍ ضد العدو هو عدو آخر".

وقد كان المسلمون دائمًا يؤجّلون خلافاتهم حين يغزوهم الأعداء، ويتَّحدون لمواجهة الخطر الخارجي؛ قال البيهقي في (المحاسن والمساوئ): "لما تشاغل عبد الملك بن مروان بمقاتلة مصعب بن الزبير، اجتمع وجوه الروم إلى ملكهم، وقالوا له: قد أمكنتك الفرصة من العرب، فقد تشاغل بعضهم ببعض، ووقع بأسهم بينهم، فالرأي أن تغزوهم في بلادهم، فإنك تذلهم وتنال حاجتك منهم. فنهاهم عن ذلك فأبوا عليه إلا أن يفعل، فلما رأى ذلك دعا بكلبين فأرَّش بينهما، فاقتتلا قتالًا شديدًا، ثم دعا بثعلب فخلَّاه بينهما، فلما رأى الكلبان الثعلب، تركا ما كانا فيه، وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه. فقال ملك الروم: هكذا العرب تقتتل بينها فإذا رأونا مجتمعين تركوا ذلك، وأقبلوا علينا. فعرفوا صدق قوله ورجعوا عمَّا كانوا عليه"[٢].

وصدق من قال:

إذا مـــا أذاني مفصـــل فقطعتـــه بقيـــتُ ومـــا لي للنهـــوض مفاصـــلُ
ولكـــن أُداويـــه فـــإنْ صـــحَّ كـــان لي وإن هـــو أدوى كـــان فيـــه تحمُّـــلُ

لم ينجح البغدادي في تكوين خلافته المزعومة، لكنه نجح في التمدُّد خارج العراق وإرباك الجماعات المجاهدة وتشتيت التيار الجهادي، وإحراق الشباب المندفع في سبيل أهداف وهمية وشعارات خادعة، ليس لها من غاية إلا توسُّع الإمبراطورية البغدادية التي لا تغفر الكفر بخلافة البغدادي..!

****

[٢] من كتاب (المحاسن والمساوئ)، [ص: ١٢٥].

إمام قاتل..!

لم ينتشر الجهاد اليوم ولم يجد الشباب المسلم نفسه مضطرًا إلى مفارقة الأهل والأوطان والخروج إلى ميادين القتال إلا بسبب المشاهد المؤلمة التي يرى فيها كل يوم قتل المسلمين واستباحة أعراضهم وانتهاك حرماتهم..

فالجهاد اليوم ردة فعل على عدوان المعتدين، وإقامة لفريضة جهاد الدفع التي أوجبها الله على كل مسلم، والتي هي من أهم الأسس التي تقوم عليها الدولة الإسلامية.

ومن أهم وظائف الإمام حماية بيضة المسلمين والذب عنهم؛ قال ابن المبارك:

كــم يــدفعُ اللهُ بالســلطان مظلمــةً ... في ديننـــا رحمـــةً منـــه ودنيـــانا
لــولا الخليفــةُ لم تأمــن لنــا ســبلٌ ... وكـــان أضـــعفنا نهبًـــا لأقـــوانا

ولهذا قيل في الثناء على الإمام:

فلـــولاك شمـــلُ المســـلمين مُضـــيَّعٌ ... ولـــولاك شمـــلُ المســـلمين شـــتاتُ
نجـــت أمَّـــةٌ لمـــا نجـــوت ودُورِكَـــت ... بـــلادٌ وطالـــت للســـرير حيـــاةُ!
وأُمّـــن في شـــرق الـــبلاد وغربهـــا ... يتـــامى علـــى أقـــواتهم وعُفـــاةُ

وسلطان فاجر يحمي المسلمين خير لهم من إمام عادل لا يردُّ عنهم صولة العادي، وقد قيل في المثل: "جور القط ولا عدل الفار"..

لكن تنظيم الدولة الذي يتغنَّى بشعارات الخلافة والدولة الإسلامية لا يُقيم لهذا الأساس وزنا، بل إن سياسته قائمة على قتل المسلمين بالمباشرة وقتلهم بالتسبُّب..

أما قتلهم مباشرة فهو يقتل المخالفين له من أهل الإسلام ويستبيح دماءهم بحجة كفرهم وردتهم، وهو لا يكتفي بقتال أهل السنة فحسب، بل إنه يقاتل المجاهدين الذين يدافعون عنهم ويحمونهم، بذريعة تحرير المحرَّر من أجل تحكيم الشريعة زعموا..!

ذئـــــبٌ تــــــراهُ مُصــــــليًا   فـــــإذا مــــــررتَ بــــــه ركـــــعْ
يــــــدعو وجُـــــــلُّ دعائـــــــه   مـــــا للفريســـــــة لا تقـــــعْ؟

وأما قتل أهل السنة بالتسبُّب؛ فإن سياسة تنظيم الدولة واستعداءه للعالم كله جعلت أهل السنة المقيمين في أماكن سيطرته يدفعون ضريبة سياسته من دماء الأطفال والنساء..
حيث أعطى للأعداء ما يبحثون عنه من ذريعة لمحاربة أهل السنة، فكل من أراد قتلهم ومحاربتهم فإنه يفعل ذلك بحجة محاربة داعش..!
حتى غدا أهل السنة يتمنَّون الفرار من كل الأماكن التي يسيطر عليها تنظيم الدولة..

إذا حـــــلَّ الثَّقيــــلُ بأرض قـــــومٍ   فمـــا للسَّـــاكنين ســـوى الرَّحيـــلِ!

فهذا التنظيم شؤم على أهل السنة بأفعاله وجرائمه، وشؤم على أهل السنة بسياساته!
وكل الانتصارات التي حقَّقها لم تعُد على الأمة بالنَّفع، بل عادت عليها بالضرر، وحال لسان أهل السنة يقول له اليوم: "يا ليتنا انكسرنا، ولا بك انتصرنا"..
ومن لم تنفعك حياته فموته عرس!
من خلال أفعاله وسياساته يبدو أن تنظيم الدولة يريد إقامة دولته على حساب أهل السنة لا من أجل حماية أهل السنة؛ فحقوق أهل السنة عنده مصونة بقدر إيمانهم بمشروع تنظيم الدولة!
لكن العدناني يفترض أن الغباء هو السائد فيخاطب المسلمين بقوله: "أيها المسلمون؛ إن كنتم تريدون الأمن فلا أمن لكم إلا في ظل الدولة الإسلامية؛ التي تدافع عنكم وتردع من يعتدي عليكم، وتحمي حماكم، وتصون أموالكم وأعراضكم".
وماذا فعل تنظيم الدولة من أجل الأمة التي يدعي زعامتها غير القتال من أجل التمدد وتحرير المحرر واستباحة دماء الأمة وتكفيرها؟

****

أمة الحزب!

لقد أراد التيار الجهادي أن يقوم بإصلاح الأمة من داخل دائرة الأمة، لكن تنظيم الدولة اختطَّ لنفسه دائرة ضيقة وأراد إجبار الناس على الخروج من دائرة الأمة إلى دائرة التنظيم..

والمفارقة العجيبة أنه لم يسعَ إلى توسيع دائرته التنظيمية حتى يكون باستطاعتها أن تشمل الأمة كلها، فكان كمن يريد إجبار الفيل على الدخول في جحر فأر!

لقد ظهر جليًا أن تنظيم الدولة لا شأن له بالأمة ولا يُقيم لها وزنا، ولا يرى إلا نفسه، ولا يريد إلا تحقيق أهدافه الحزبية وأطماعه التوسُّعيَّة، بل إنه يختزل الأمة في نفسه، ويختزل الجهاد في أفعاله..

وإذا تأمَّلت رأيت ذلك في خطاباته، ورأيته في تحركاته، ورأيته في سياساته..!

فالأمة في نظر تنظيم الدولة ليس فيها موحِّدون، وإن وُجِدوا –على قلة– فلا قيمة لهم لأنهم لم يحققوا شرط الإيمان بالخليفة! وهذا الشرط يعتبر عند تنظيم الدولة بمثابة الإيمان بالولي عند الشيعة..

وحتى نضرب مثلًا لأنانية هذا التنظيم وصِغر اهتماماته، وعدم مبالاته بمصاب الأمة، فقد رأيناه تمكَّن من أسر بعض الغربيين ومع ذلك لم يفكر لحظة في أن هؤلاء الأسرى يمكن من خلالهم أن ينقذ الكثير من أسرى المسلمين في سجون الدول الغربية مثل الشيخ عمر عبد الرحمن ومن هناك من خيرة المجاهدين، بل قام بذبح أسراه علانية نكاية في الدول التي تحارب تنظيم الدولة!

إذا كان استنقاذ أسير مسلم واحد واجبًا على المسلمين ولو أتى ذلك على بيت المال كله كما هو المروي عن مالك، فكيف لا يكون واجبًا عليهم، وبأيديهم مِن أسرى الكفار ما يستطيعون مفاداته به؟

ومع ذلك نرى العدناني يتظاهر بالحرص على صيانة دماء الأمة، ويتباكى على مصابها فيقول في خطابه: "ما لكم أيُّها المسلمون؟! أو ما تسمعون استغاثات المسلمين المستضعفين في الشام، وترون حالهم وقد تكالبت عليهم الأعداء؟"!

ولكن ما هي الشام يا عدناني؟

أليست الشام هي التي وصفت أهلها في خطابك بأنهم حاضنة "غثاء"!

أليست الشام هي التي كفَّرتموها واستبحتم دماءها وقتلتم خيار أبنائها؟

أليس أهل الشام هم من تنعتونهم بالصحوات والردة؟

وكُنــــتِ كـــــذبَّاحِ العصــــافير دائبًـــــا ... وعينــاهُ مِــن وَجْــدٍ علــيهِنَّ تَهْمِــلُ!

فــلا تنظــري ليلــى إلى العــينِ وانظــري ... إلى الكــفِّ مــاذا بالعصــافير تفعــلُ

****

أولياء التنظيم..!

أن تحب في الله وتبغض في الله، فذلك من أسس الدين..

أما بالنسبة لتنظيم الدولة، فيجب عليك أن تحب في التنظيم وتبغض في التنظيم، وتوالي في التنظيم وتعادي في التنظيم!

إن عدم التوازن في مسألة الولاء والبراء والحب والبغض لا يتحقق معه ما أمر الله به من الولاء لكل مسلم؛ فترى البعض يبغض الكفار المحاربين لدين الله بالدرجة نفسها التي يبغض بها العصاة وكل من لديه انحراف من المسلمين..!

والميزان الشرعي يقتضي أن نحب المسلم بقدر ما عنده من أصل الدين ومكملاته، ونبغضه بقدر ما لديه من مخالفات.

إن التَّخندُق في دائرة المنهج والفكر والحزب، والنظر إلى كل الخارجين عن هذه الدائرة بعين المقت والبغض، جعل من هذا الولاء المنهجي والحزبي منافسًا للولاء الشرعي الذي هو حق ثابت لكل مسلم..

والانتماء إلى الطائفة المنصورة لا يعني أبدًا البراءة من الأمة ولا مشروعية مقتها أو معاداتها؛ فالطائفة المنصورة جزء من الأمة، تتميز عنها بتمام صحة المنهج وتمام اتباع السنة..

وبقية الطوائف –وإن كان لديها بعض المخالفات– تبقى مكوِّنًا من الأمة يجب لها ما يجب للأمة من حقوق وواجبات.

****

دجل وشعارات..

إن العامة تنخدع بمنتهى البساطة، والاعتماد على بساطة الجماهير سنة من سنن الطغاة يحدِّثنا عنها القرآن في أكثر من موقف..

ها هو نمرود في نقاش مع إبراهيم، يقول له إبراهيم: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ}، فيجيب نمرود: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}؛ لأنه على يقين من إمكانية خداع الجماهير، حيث يأتي باثنين محكوم عليهما بالإعدام فيُعدم أحدهما ويترك الآخر، فتصرخ الجماهير: أنت تحيي وتميت!!

وها هو فرعون يقول: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}... هكذا ببساطة يصوِّر فرعون القضية للجماهير السطحية: سوف نصعد إلى الصَّرح، وإذا لم نرَ شيئًا في السماء

فمعنى ذلك أن موسى كاذب..!

وهذه مسألة منطقية عند السُّذَّج من الجماهير..

وبهذا المنطق نفسه يقوم تنظيم الدولة اليوم بخداع جماهيره بالشعارات الكاذبة..

والتنظيمات التي تقتات على الشعارات لا يمكن أن تعيش إلا في جو من السذاجة المفرطة، التي تجعل الجماهير تنساق وراء الشعارات دون التأكد من صحتها وصدق من يرفعها..

إن الحكم على صحة الشعارات هو تمامًا مثل الحكم على صحة الكرامات؛ فمن جاءته الكرامة وهو على حال من الاستقامة فلا شك أنها كرامة ونعمة من الله، ومن جاءته على حال من المعصية والبعد عن الشرع فهي استدراج لا كرامة..

وهكذا التمييز بين الشعارات الكاذبة والشعارات الصادقة؛ فمن رفع الشعارات الدينية وهو على حال من الاستقامة على الشرع فهذا دليل على صدق شعاراته..

ومن رفع الشعارات الدينية وهو على حال من الانحراف ومخالفة الشرع فلا شك أنه دجال متاجر بالشعارات..

وقد لاحظت في كلمات العدناني أنه يوجِّه خطابه إلى فئة محدودة الإدراك والفهم لا يُجاوزها إلى غيرها!

عبثًا تحاول إنْ تُرِد إقناع بعض المغفَّلين بضلال تنظيم الدولة وعظيم ضرره على الأمة، فهؤلاء تتحكَّم فيهم المؤثرات الإعلامية أكثر مما يتحكم فيهم الاستدلال الشرعي والمنطق العقلي.

فلا غرابة أن يركز تنظيم الدولة على الإصدارات المثيرة والأغلفة المنمَّقة؛ لأنه أدرك أنَّ حلبةً هكذا جمهورها لن يفوز فيها إلا إعلام الإثارة..

ألم تــرَ أنَّ العـينَ للقلــبِ رائــدُ   فمــا تألَـفُ العينــانِ فالقلــبُ آلــفُ

****

حماس مجنون..!

لقد كان إعلان خلافة البغدادي بمثابة صرخة أثارت هدأة المجانين فطفقوا يقفزون ويركضون في الميدان رميًا لكل من صادفهم وتخريبًا لكل ما حولهم!

إنَّ حماس الشباب قد يكون طوفانًا مدمرًا إذا لم يُلجَم بحكمة الشيوخ المجرِّبين..

أليس حماس الشباب هو الذي أخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من المدينة في غزوة أحد!

إن المجاهد يعمل من أجل دينه وأمته، ولا يسعى إلى صناعة مجد لنفسه..

همُّه وغايته أن توجد النتيجة ولو بعد ألف عام من رحيله..

إنه لا ينظر إلى اللحظة فقط، بل يستشرف المستقبل ويخطط له، وقد امتنع النبي -صلى الله عليه وسلم- من الدعاء على قومه فقال: (لعلَّ الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله)..

النجاح الذي يسعى إليه المجاهد هو نجاح تستفيد منه الأمة كلها، ولو لم يستفد هو نفسه منه، ولو لم يأخذ نصيبًا من غنيمته، ولو لم يكن حاضرًا حين قطاف ثمرته..

ولا يضيره أن توجد النتيجة ولو بعد ألف عام من رحيله..

لكن حال لسان المستعجل يقول: النصر الذي لا أحضره وأشهده ليس نصرًا!

إن المستعجل يظن عملية إصلاح الأمة كالانقلاب العسكري، يمكن أن تحدث بين عشيَّة وضحاها..

والحق أنها عملية شاقة وطويلة الأمد، تحتاج إلى عمل دؤوب، وصبر، ومثابرة، واستمرار، وتوزُّع للأدوار على شتى المجالات العلمية والتربوية والدعوية والسياسية والعسكرية.

والتركيز على مجال واحد دون غيره لن يأتي إلا بنتيجة مشوهة، كما أن تركيز الطالب على مادة واحدة دون غيرها من المواد، ليس كافيًا لنجاحه في الامتحان..

إن عملك قطرة في بحر فلا تحاول أن تختزل نهضة الأمة فيما تقوم به من جهود ستكون أدنى من مستوى الصفر لو أنها وُجدت وحدها!

انظر إلى النبتة الخضراء، وتأمل كيف أن اخضِرارها يحتاج إلى مهمة مزدوجة بين السقي بالماء والتعرض للضياء، ولا يُجدي نفعًا وجود أحدهما في ظل غياب الآخر..

****

الطفولة السياسية..

تنظيم الدولة وأتباعه لا يقرؤون الواقع قراءة سياسية، ويعتقدون أن الخلافة الإسلامية سوف تخرج على الناس خروج المارد من قمقمه بمجرد لمسة للمصباح السحري!

وهذا تصور في غاية السذاجة؛ لأن استعادة الخلافة لا بد أن تمر بالكثير من المراحل والأطوار التي يتكامل فيها البناء على مختلف الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

إن إعلان الخلافة من طرف تنظيم الدولة أخَّر مشروع الخلافة وجعله أبعد مما كان متوقعًا..

وكان أصحابه كمن يبحث عن الغنيمة في زمن الهزيمة، أو كمن يبني قصرًا ويهدم مِصرًا..

إن أهل العلم الذين رفضوا إعلان الخلافة لم يكونوا رافضين لمشروع الخلافة، وإنما كانوا يريدون أن يتم بناء الخلافة على

أُسس صلبة وقوية حتى لا نكون كمن أسَّس بُنيانه على شفى جُرف هار.
ومعالجة الموجود خيرٌ من انتظار المفقود، والاجتهاد في غير أوانه شرٌّ من التَّواني..
ومن الخير أن نعلم أن الحديث عن الأهداف المستقبلية والتركيز عليها والتَّغني بها يُعتبر من قبيل الشروع في الصلاة قبل دخول وقتها..

ومســـتعجلُ الشـــيء قبــل الأوانِ يُصـــيبُ الخســارة ويجــني التَّعــبْ!

إنه يصرف جهود الأمة ويُبدِّد طاقتها في مرحلة لما يَحِن وقتها بعد، ويشغلها عن المعركة الراهنة، ويكشف الأوراق امام الأعداء، ولا يترك لقادة الأمة فرصة للمناورة السياسية..
وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا غزا غزوة ورّى بغيرها..
وقال عمر بن أبي ربيعة:

إذا جئــتَ فــامنحْ طــرفَ عينيــكَ غَيْــرَنا لِكَــيْ يَحْسِــبوا أَنَّ الهَــوَى حَيْــثُ تَنْظُــرُ

وإنك لترى بعض أنصار تنظيم الدولة يشاغبون على الإمارة الإسلامية في أفغانستان فيلتقطون بعض العبارات في بياناتها الرسمية ويضربون حولها بالحواشي والشروح، ليبحثوا عن نتيجة تُرضي أهواءهم وتشفي غليلهم!
وهم –كعادتهم– حينما يغضبون عليك يجعلون أخطاءك تحت المجهر، ويحفظونها في الصندوق الأسود!
لقد زعموا أن الإمارة الإسلامية دولة وطنية [٣] لا شأن لها بالعالم الإسلامي، وأنها تؤمن بالشرعية الدولية، ولا تريد نشر الجهاد في كافة الأرض..!
إلى غير ذلك من الاستنتاجات المريضة التي حاولوا تقريرها بقراءةٍ مشوَّهة لبيانات الإمارة الإسلامية!

---

[٣] **قال الشيخ عطية الله الليبي: (أننا نحن تنظيم قاعدة الجهاد تنظيم إسلامي جهادي عالمي لا يتقيد بوطن ولا جنس، وأننا في أفغانستان مبايعون لأمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد أمير المؤمنين في إمارة أفغانستان الإسلامية، ومأذون لنا من قبل أمير المؤمنين بالعمل الجهادي العام).**
وقال الشيخ أبو بصير الوحيشي نقلًا عن مجلس شهده بحضرة الملا عمر والشيخ أسامة: (قال الملا عمر: أنا أريدك يا شيخ أسامة أن تضرب اليهود في أي مكان).
وقال الشيخ نصر الآنسي: (فنحن لا زلنا على عهدنا مع الملا عمر على جهاد الصليبيين وأعوانهم وهو أعطانا الصلاحية للعمل وفوضنا بذلك).
وقد قبل الملا أختر بيعة الدكتور أيمن الظواهري والتي أشترط فيها أمور؛ منها: (ونبايعكم على الجهاد؛ لتحرير كل شبر من ديار المسلمين المغتصبة السليبة، وعلى نصرة المستضعفين المؤمنين حيث كانوا، وعلى جهاد الحكام المبدلين للشرائع، الذين تسلطوا على ديار المسلمين فعطلوا أحكام الشريعة).
فلو كانت الطالبان حركة وطنية فلماذا تقبل وتطلب وتأذن بالعمل خارج حدودها؟!

وهم يدركون جيدًا حقيقة الإمارة الإسلامية وطبيعة منهجها..

ومتى كانت التصريحات السياسية هي التي تُحدد منهج الدولة، ويُحكم عليها من خلالها..؟

إن الغرب في تصريحاته السياسية يدَّعي أنه يريد النشر الديمقراطية والحرية والقضاء على الدكتاتورية وأن تكون الشعوب المسلمة هي صاحبة القرار، ويدَّعي أنه لا يسعى إلى محاربة الإسلام، وأنه يريد أن يقيم مع العالم الإسلامي شراكة اقتصادية عادلة..

وهذه التصريحات مخالفة تمامًا لما يقوم به الغرب عمليًا ويسعى إليه..

هكذا هي طبيعة السياسة؛ تخادع عدوك بالكلمات، ويخادعك بالردود والإجابات، وكل منكما يعلم حقيقة الآخر ومراميه، إنه فن المداراة الذي لا تقوم السياسة إلا عليه..

قال الإمام الشافعي:

إني أُحيِّـــي عـــدوِّي عنـــد رؤيتـــه   لأدفـــع الشَّـــر عـــني بالتحيـــاتِ

وأُظهـــر البِشْـــرَ للإنســـان أُبغضـــه   كمـــا إن قـــد حشـــا قلـــبي محبَّـــاتِ

وقد قيل في أهمية المداراة:

– "المداراةُ سياسة رفيعة تجْلِبُ المنفعة، وتدفع المضرَّة، ولا يستغني عنها ملك ولا سُوقَة، ولا يدعُ أحدٌ منها حظَّه إلا غمرته صروف المكاره"[٤].

– "قال الأصمعي: قال أعرابي: استطرد لعدوك، وبلج له بحسن المداراة وإعلان الرضا عنه، حتى تبصر فرصتك، ثم واثبه وهو على حال غرَّة، غير معتد لك."[٥].

****

[٤] (زهر الآداب وثمر الألباب)، (٢/٣٦٠)، لأبي اسحاق القيرواني.

[٥] (البصائر والذخائر)، (١/ ٢٥٩) لأبي حيان التوحيدي.

سنفعل ما نريد!

إن التوكل على الله والاعتماد عليه لا ينافي الأخذ بالأسباب السياسية، والفرار مما لا يُطاق من سنن المرسلين، وقد قال موسى: {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ}.

لكن ظهر من مسلكيات تنظيم الدولة وأتباعه أن الهدف عندهم هو إبراز بطولاتهم، ولفت الأنظار إليهم، وإعطاء صورة بأنه لا أحد يستطيع الوقوف أمامهم أو منعهم مما يريدون، حتى صاروا ينتقلون من مغامرة لأخرى..!

بل أصبحوا يتصرَّفون وكأن لا أحدًا في الكون معهم، ولن تكون هناك ردة أفعال لأفعالهم..

وقد صرخ العدناني في خطابه قائلًا: "سنفعل ما نريد وقت ما نشاء"!!

وهذا ناشئ عن فهم قاصر للواقع والمحيط بأن العالم محكوم باعتبارات محلية وإقليمية وعالمية. ومن كان يفكر بهذه الطريقة فلن تكون له خطوط حمراء، وسيهدم أكثر مما يبني، وسيخسر أكثر مما يربح!

نقرأ في التاريخ أن الكثير من الملوك الجبابرة كانت نهايتهم مأساوية لأنهم وصلوا إلى هذه المرحلة من التفكير وظنوا أن بإمكانهم أن يفعلوا كل ما يريدون.

إِنَّ المَغَـــالِطَ فِي الحَقِيقَـــةِ نَفسَـــهُ   باغٍ عَلَـى الـنَفسِ الضَـعيفَةِ عــادِ

لا ريب أن تنظيم الدولة بإعلانه للخلافة فعل ما فعله ذلك الطفل الصغير الذي ظن أن كل من يرتدي بزَّة "السوبرمان" يمكنه أن يطير في الهواء مثله ويُحاكي أفعاله، فارتدى بزَّته، وقفز من فوق شاهق مرتفع.. وكانت هي النهاية..!!

لم يكن إعلان الخلافة إلا قفزة سوبرمانية..

ولم تكن محاولة فرض الجزية إلا قفزة سوبرمانية..

ولم يكن إعلان الحرب على العالم كله إلا قفزة سوبرمانية..

وَمَــن تَضــحَكِ الــدُنيا إِلَيــهِ فَيَغــتَرِر   يَمُــت كَقَتيــلِ الغيــدِ بِالبَسَــماتِ

هذه القفزات السوبرمانية مازالت عقبة أمام رؤية أنصار تنظيم الدولة لحقيقة تنظيمهم كما هي، لا كما يصورها إعلام التنظيم بخياله الواسع وحرفيته العالية..

إنه إعلام محترف بامتياز، وناجح في تحطيم المسلَّمات العقلية وترويج الغباء السياسي!

يظن هؤلاء أن تنظيم الدولة هو القوة الهائلة التي يمكنها التصدي للعالم كله، وأنه الدولة العظمى التي يخافها الغرب والشرق، وأن مصير الإسلام معلَّق بمصيره!

والانخداع بأحلام اليقظة يسميه بعض علماء النفس: "الاستمتاع السَّلبي"؛ وهو تعبير صريح عن الرغبات التي لم تتحقَّق في الواقع، وحيلة عقلية يخادع بها المرء نفسه.

غُلِبُوا عَلى أَعصابِهِم فَتَوَهَّموا ... أَوهامَ مَغلوبٍ عَلى أَعصابِهِ

في التكتيك العسكري قد يسمح العدو لعدوه بالظهور والانتشار وإبراز قوته، من أجل تشتيت طاقته ثم القضاء عليه في اللحظة المناسبة.

كم شاربٍ عسلاً فيه منيّتُه ... وكم تقلَّد سيفًا مَنْ بِهِ ذُبِحا

****

تنظيم الله المختار!

ولا تنتهي الأسطورة عند هذا الحد.. بل إنهم يحاولون إسقاط أحاديث آخر الزمان على أنفسهم، ويزعمون أن تنظيم الدولة هو الخلافة الموعودة، وأن فرسانه سيهزمون المشركين في دابق ويفتحون روما!

ويستشهد العدناني في خطابه الحماسي بحديث أبي هريرة: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتحون قسطنطينية).

ثم يقول العدناني معلِّقا: "نعم.. هذا وعد الله"، وكأنه يريد أن يقول: "نحن هم ذلك الجيش"!

وإني لأحسب أن إصرار التنظيم على سبي الإزيديات لم يكن إلا ليدَّعوا تحقُّق بعض ما ورد في هذا الحديث فيهم: (خلوا

بيننا وبين الذين سُبُوا منا نقاتلهم).

إنهم يتصرَّفون وكأنهم أول من قاتل الكفار! ويغفلون عن أن الصراع في الشام بين المسلمين والروم ليس وليد اليوم، بل هو مستمر منذ أن فتح المسلمون بلاد الشام، ولم يدّعِ أيٌّ من الجيوش الإسلامية التي قاتلت الروم أنه هو جيش آخر الزمان الذي ذكره النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث.

إن هذا الجيش الذي أثنى عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكن يجاهد ليتحقَّق فيه هذا الثناء ويصدق عليه هذا الحديث، وإنما يجاهد طاعة لله وقيامًا بفريضة الجهاد لا سعيًا إلى منقبة ولا بحثًا عن منزلة..

والإمام مالك حينما طلب العلم وهو صغير لم يطلبه ليتحقق فيه قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (يكاد الناس يضربون أكباد الإبل فلا يجدون أعلم من إمام المدينة)..

ومحمد الفاتح حين غزا قسطنطينية وحررها لم يكن مراده السعي إلى هذه المنقبة في قوله –صلى الله عليه وسلم–: (فنِعم الأمير أمير ذلك الجيش)..

إن هذه الصورة الأسطورية جعلت من تنظيم الدولة أمام أتباعه صنمًا كبيرًا يحجب أنظارهم عن رؤية الواقع، ويضطرهم إلى إنكار الحقائق الشرعية والحسية..

وحين تسقط هذه الصورة المصطنعة، وتتلاشى القوة المزعومة، وينتهي الفيلم، ويتحطم الصنم، سيدرك طلاب النصر الذين لم يركضوا خلف تنظيم الدولة إلا لِما توهَّموا من قوته أنهم كانوا يركضون خلف السراب..

وأن عنتريَّاته لم تكن سوى ضربات زُنبور يتخبَّط بلا هدف على زجاج نافذة مغلقة!

وسيُدرك المخدوعون الذين ولَّوا ظهورهم للمجاهدين وركضوا خلف شعارات تنظيم الدولة أن حالهم هو كما قال الشاعر:

سَــــفِهْنَا باتِّبــــاعِ بــــني بغــــيض ... وتــــرك الأقــــربين لنــــا انتســــابا

ســــفاهةَ فــــارطٍ لــــمّا تــــروَّى ... هــــراقَ المــــاءَ واتَّبَــــعَ السَّــــرابا

لقد كانت قريش تقاتل النبي –صلى الله عليه وسلم– حميَّة لأصنامها، وكانت هذه الأصنام تعني الشيء الكثير بالنسبة لها..

فلما دخل النبي –صلى الله عليه وسلم– مكة وحطَّم الأصنام أمام أعينهم، وهو يقول: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، لم يجدوا بُدًّا من الدخول في الإسلام لأن الحجاب الذي كان يمنعهم من رؤية الإسلام سقط وانتهى..

قال الحسن البصري: "إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"[٦].

---

[٦] (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، (٩/٢٤).

وقال جرير:

فَـلا تَتّقُـونَ الشّـرَّ حـتى يُصِـيبَكُمْ ... ولا تعرفـــونَ الأمـــرَ إلاَّ تـــدبُّرا!!

لكن في زماننا اليوم من لا يعرف الفتنة حتى بعد إدبارها!

فالبصير هو من يقرأ الأحداث قبل وقوعها، والجاهل من يعجز عن قراءتها حتى بعد وقوعها!

****

عصبية لا دين..!

نقرأ في بيانات أنصار الدولة وردود أفعالهم، فنرى الأمر تحوَّل من مجرد الانتصار لرأي يراه المرء صوابًا إلى هوى شديد وعصبية تمنع من رؤية الحق وسماع قول المخالف.

ومن مظاهر العصبية ترحيبهم بكل ما يُعزِّز مواقفهم، وفرحهم الشديد بكل من يناصرهم، وإعلان الحرب المطلقة على كل من خالفهم مهما كانت منزلته ومكانته..

ومن تسلَّح بالعصبية والهوى فلا ينفعه الدليل، ولا يُجدي معه نقاش.

فـــإن قلـــتُ عُرفًـــا أنكـــروه بمنكـــرٍ ... وغطَّـــوا علـــى "التَّحقيـــقِ" بالشـــبهاتِ

أحـــاولُ نقـــلَ الشـــمس مـــن مســـتقرّها ... وإسمـــاعَ أحجـــارٍ مِـــن الصَّـــلداتِ!

فَمِـــنْ عـــارِفٍ لَم يَنْتَفِـــعْ، وَمُعَانِـــدٍ ... يميـــلُ مـــعَ الأهـــواءِ والشـــهواتِ

حين يستحكم الهوى من المرء لا تُجدي معه النصيحة ولا تنفعه الموعظة والإرشاد، ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: (فإذا رأيتَ شُحًا مطاعًا، وهوى متَّبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك...) الحديث.

قال الشاطبي في (الاعتصام): "فأهل الأهواء إذا استحكمت فيهم أهواؤهم لم يبالوا بشيء ولم يعدوا خلاف أنظارهم شيئًا، ولا راجعوا عقولهم مراجعة من يتَّهم نفسه ويتوقَّف في موارد الإشكال".

واتّباع الهوى يُزيِّن الباطل ويصرف العبد عن الدلائل الشرعية والبيِّنات الربانية، قال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ

كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}، وقد يبلغ التأثر بالهوى مبلغًا خطيرًا تنقلب معه الموازين وتتغيَّر المفاهيم، ويصل المرء إلى درجة يُنكر فيها النصوص الصريحة أو يؤوّلها بتعسُّف، أو يجادل في القواعد الشرعيَّة والأدلة الجليَّة!

يـــردُّ الـــذي لا يرتضـــيه برأيـــه ويحســـبُ أنَّ الحـــق للـــرأي تابـــعُ
إذا آيـــةٌ صـــكَّت مســـامع قلبـــه وجـاءت بمـا لا يرتضـي مَـنْ يتـابعُ
يقـــوم علـــى ســـاقٍ لتأويـــل لفظهـــا وصـــرفِ معانيهـــا إلى مـــا يشـــافعُ
وكـم مـن حـديث قـد توجَّهـت نحـوه وجـــوهٌ مـــن التَّأويـــلِ شـــوهٌ شـــنائعُ

والهوى يُعمي ويُصم، حتى يحجب عقل صاحبه، فلا يحكم على الأشياء حكمًا سليمًا..

إذا رأيـــتَ الهـــوى في أمـــة حَكَمًـــا فـــاحكُم هنالـــك أن العقـــل قـــد ذهبـــا

فيكون الدليل صحيحًا، والاستشهاد به في موضعه، ولكن المتلبِّس بالهوى لا يفهم الدليل على وجهه الصحيح..

قال شيخ الإسلام: "وصاحب الهوى يُعميه الهوى فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه".

وآفـــةُ العقـــل الهـــوى فمـــن عَـــلَا علـــى هـــواهِ عقلُـــه فقـــد نجـــا

والهوى يمنع الكثير من أصحاب الضلال من سماع الحق والاستفادة منه، ولهذا كان السلف يسمُّون أهل البدع "أهل الأهواء"؛ لأنهم يقبلون من الأدلة ما يوافق هواهم ويردون منها ما يخالفه، فكأن معيار التَّرجيح عندهم هو: موافقة الهوى.

****

غرائب داعشية

التعصب الشديد لتنظيم الدولة قاد أتباعه إلى الكثير من المواقف الغريبة، والتناقضات العجيبة، ومن ذلك على سبيل المثال:

١- يستدلون على صحة منهج تنظيم الدولة بضجيج الغرب حوله وتركيز إعلامه عليه..!!

وكأنهم لا يعرفون من علامات أولياء الله إلا أنهم هم الذين يجهر الغرب بعداوتهم ويُحذّر من خطرهم، ومن كان هذا حاله فهو عندهم المجاهد الذي تجب نصرته وموالاته، مهما كان وصفه وحاله!

فلا يحتاج الغرب إذًا إلا إلى الضغط على الزر، وتوجيه إعلامه إلى التحذير من جهة بعينها، حتى يستقبلها الأغرار ويتوجَّهوا إليها، وبهذا يصبح الإعلام الغربي هو الموجِّه عن بُعد لاهتمامات المغفلين!! [٧]

٢- لا يعترفون بأخطاء تنظيم الدولة إلا إذا أقرَّ هو بها واعترف بها -ودون ذلك خرط القتاد-، ويعتقدون أن كل ما ينكره تنظيم الدولة من التهم الموجهة إليه لا حقيقة له!

بل إنهم أحيانا ينكرون المسائل التي يعترف بها تنظيم الدولة!

فبعضهم ما زال يؤوِّل مقولة العدناني: "فإنك بقتالك للدولة الإسلامية تكفر"..

وبعضهم ما زال يزعم أن تنظيم الدولة لا يُكفّر جميع الفصائل في الشام.

وبعضهم ما زال ينزّه تنظيم الدولة عن تفجير المساجد، مع أن بياناته في تبني العمليات موجودة!!

ولم أرَ أحدًا من أنصار تنظيم الدولة ينتقد أو يستنكر مسألة على تنظيمه مهما كانت صغيرة، فهم أنصار لتنظيم الدولة في الحق وفي الباطل وفي الصغير وفي الكبير.

٣- يعترضون على كل مخالف للدولة بما قاله سابقًا في الثناء عليها قبل ظهور انحرافاتها وفسادها في الأرض وخروجها على ولاة أمرها وإنكار قادتها لمبايعة الشيخ أيمن الظواهري.

وينسون في الوقت نفسه ثناءهم السابق على قاعدة الجهاد وطالبان وما سطروا في مدحهما والثناء عليهما.

وبعضهم جمع كلامًا للشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله- تضمَّن كلامه ومدحه لقادة الدولة قبل الأحداث، وانتقاده لها بعد الأحداث، كأنه بذلك يريد أن يُظهر تناقض الشيخ أيمن -حفظه الله-..

وينسى هذا المسكين أنه إنما يظهر تناقضه وتناقض جماعته كلها لأنهم جميعًا كانوا يُثنون على الشيخ أيمن -حفظه الله-..

هكذا قال اليهود للنبي -صلى الله عليه وسلم- لما تحوَّل عن قِبلتهم: "إن كانت حقًّا فقد انصرفت عنها، وإن كانت باطلًا فقد صليت إليها"!!

إنّ تغير الحكم على الشخص لظهور ما يستوجب ذلك لا يعتبر تناقضًا، فقد يحكم القاضي بجرح من عدَّله سابقًا بعد

---

[٧] فكيف والجماعة قد قدمت قتال الفصائل والمجاهدين قبل قتال الأعداء المتفق عليهم؛ لأنَّ بزعم المتحدث الرسمي أن هؤلاء هم يعيق ويؤخر النصر أمام الأعداء! قال: (سنقاتل الحركات والتجمعات والجبهات، فما يضعف المسلمين ويؤخر النصر إلا الفصائل، نعم لأنه مع الجماعة لا جماعات).
فمن كانت هذه صفته فلا عَجب أن تعمل له دعاية غير مباشرة من قبل الأعداء توجيهًا للأغرار إليه. فسوف يكيفهم مؤنة القتال والتخطيط والمكر! (الناشر)

ظهور مُوجِب الجرح الذي كان خافيًا، وقد يحكم القاضي بنقض حكمه السابق لوجود شهادة أو بيّنة تقتضي إبطال الحكم.
وقد يقول الشخص الكلمة فيتبيَّن له عدم صوابها فيرجع عنها في المجلس نفسه. وهذا رجوع إلى الحق لا تناقض. وإنما يُعتبر متناقضًا من قال الشيء ونقيضه في الوقت نفسه دون وجود سبب لتغير الحكم عنده.

٤- أنصار تنظيم الدولة ما زالوا في تناقض حول توصيف القاعدة التي كانوا بالأمس يتغنَّون ببطولاتها وأمجادها..
فبعضهم يصرّح بلعن القاعدة وكل تاريخها، ويحاول حصر التاريخ الجهادي المشرق في أبي مصعب الزرقاوي وجماعته كبديل عن القاعدة، متناسيًا أن مبايعة أبي مصعب للقاعدة تزكية لها واعتراف بعظم منزلتها ومكانتها.

ومِــنَ الرّجــالِ إذا انْبَريــتَ لِهَــدمِهم　　　هَــرَمٌ غَلــيظُ مَناكِــبِ الصُّــفَّاحِ

وبعضهم يحاول أن يُمسك العصى من المنتصف، فيدَّعي أن القاعدة كانت على خير، لكن القاعدة ما بعد الشيخ أسامة هي التي انحرفت..!
ويُشكل على هؤلاء أن بيانات القاعدة في المرحلة الأولى تتناقض مع الكثير من توجهات تنظيم الدولة الحالية؛ ولهذا لم يجد إعلام تنظيم الدولة بُدًا من مقاطعة جميع قادة القاعدة ورموزها السابقين، لأن ذلك يشوّش على خطابه الجديد.
العدناني يصوّر لنا الأمر على أنه كفر بالشيوخ والرموز، فيقول واصفًا جماعته: "ولذا كفروا بأصنام الرموز والشيوخ والمنظرين، وضربوا بأقوالهم المعارضة عرض الحائط غير مبالين".
والحقيقة أن المسألة ليست مجرَّد كُفر بالرموز والشيوخ فقط، بل هي كفر بالمنهج الجهادي وتاريخه ورموزه، والدخول في منهج جديد، بتاريخ جديد، ورموز جديدة، وأهداف جديدة..
لكن السُّذج يُسحبون سحبًا دون أن يشعروا!!
طيب يا عدناني.. الآن ماكو شيوخ.. ماكو رموز.. فما هو البديل؟!!
البديل طبعًا هو اتّباع كل ناعق عاكف على عبادة صنم الدولة!!
قال الزنجاني في المنظومة الرائية في السنة:

وأجهــلُ مَــنْ تَلْقَــى مَــنَ النَّــاسِ مُعجَــبٌ　　　بخــاطِرِه يُصــغي إلى كُــلِّ مَــنْ هَــذَرْ!

٥- ومن تناقضاتهم أيضًا:

- التغني بأمة الإسلام مع تكفيرها وتضليلها!

- التغني بأمجاد المجاهدين، مع تكفيرهم ومحاربتهم!

- موقفهم من الشيخ أسامة مازال مضطربًا، فمرة يُثنون عليه ومرة يقدحون فيه..!

٦- حاولت أن أعرف السبب الذي جعل أنصار تنظيم الدولة لا يعتبرون بيعة طالبان بيعة عامة تغنيهم عن مبايعة البغدادي فلم أجد جوابًا ثابتًا!

بل كانوا كالنعامة تكون جملاً إذا قيل لها: طيري، وطيرًا إذا قيل لها: احملي!!

- فبعضهم يقول: لأنه بويع على إمامة القُطر خاصة.

وهذا مردود بتصريح الشيخ أسامة بأن إمامة الملا عمر إمامة عامة، وبمبايعة المجاهدين له وهم خارج أفغانستان.

ثم إنَّ البيعة على إمامة القطر في ظل غياب الإمامة العظمى تنسحب عليها أحكام الإمامة العظمى تلقائيًا؛ لأن الأصل هو عدم تعدُّد الإمامة، ولأنها بيعة على الإمامة اشترط فيها أن تكون قاصرة على القطر، فيسقط الشرط ويثبت العقد، كما هو الحال في سائر الشروط الباطلة..

- وبعضهم يحتج بأن الملا عمر -رحمه الله- ليس قرشيًا، متناسيًا أن طالبان أخذت الحكم بالتغلُّب، وأن المتغلّب لا يُشترط أن يكون قرشيًا.

إن إنكار إمامة الملا عمر -رحمه الله- والركوض خلف بيعة البغدادي دليل على أن أتباع تنظيم الدولة لا يُدركون حقائق الأمور، ولا ينساقون إلا للشعارات.

إن الهوى والتعلُّق بالشعارات الصَّاخبة لتنظيم الدولة هو الذي جعلهم يكفرون بإمامة الملا عمر..

وقد صدق من قال:

إنَّمــــا تُــــنجِحُ المَقالَـــةُ في المَـــرءِ إذا صـــــادَفَت هَــــوىً في الفُـــؤادِ

خطأ طالبان أنها لم تُعطِ البسطاء حظَّهم من الشِّعارات!!

٧- تأملت أيضًا في أنصار تنظيم الدولة فرأيتُهم مجرَّد أبواق للتنظيم وإعلامه، فقادة التنظيم يقرّرون وأتباع التنظيم يُكرّرون.. إذا ناقشت أحدهم في مسألة ما، فتأكد من خلال دقة ملاحظته أنك لا تخاطب روبوتا؛ لأن كل المسائل والإشكالات مبرمجة في أذهانهم من طرف إعلام التنظيم..

وكل المواقف السلبية من طالبان والقاعدة ورموز الجهاد وشيوخه لم تتشكَّل عندهم إلا بعد حملة إعلامية شرسة قام بها تنظيم الدولة من أجل تشويه قادة الجهاد ورموزه حتى يخلو له الجو وينفرد بالساحة..

وكانت عملية غسيل الدماغ هذه ناجحة جدًا للأسف، وتسبَّبت في وقوع الكثير من الكوارث في الساحة الجهادية، وظهر من خلالها أن الكثير ممن كانوا سابقًا من أنصار الجهاد هم في الحقيقة أنصار في "مهب الريح" يطيرون مع أول زوبعة إعلامية كما يطير الهباء!!

٨- أشياء غريبة أصبحت عقيدة عند أنصار تنظيم الدولة:

- يعتقدون عصمة المجاهدين، ويستنكرون على كل من ينتقدهم.
- يعتقدون أنه لا ينبغي أن يفتي قاعد لمجاهد، وأن المجاهدين لا يستفتون مِن العلماء إلا مَن كان في ساحة الجهاد!
- يعتقدون أن الجهاد الشرعي هو جهاد تنظيم الدولة فقط، وأن تنظيم الدولة هو وحده من يسعى إلى تحكيم شرع الله!

****

نظرة أخيرة..

تعلَّمت من "مغارة تنظيم الدولة" أنَّني والكثير من أقراني في غاية العجلة والسطحية وضعف النظر وسوء التقدير!

هكذا هو الحال في ساحة العمل من أجل الدين والأمة: إصابة وأخطاء، وتسديد وانحراف. وليست المشكلة في أن تصيب مرة وتخطئ مرة، ولكن الخطأ الأكبر أن تصرَّ على جعل خطئك صوابًا، والمصيبة أن تجعل رأيك صائبًا والأمة كلها غير مصيبة..!

وأخطر ما في مرض السَّطحية وضعف النظر أن صاحبه قد يتصرف كالمجنون فيعادي أقرب الناس إليه ويهدم ما يريد أن يبني بيديه..

وهو مع ذلك كله مغرور بنفسه معجب بدهائه آسف على بلادة غيره!

فسبحان من ابتلاه بالبلادة ومنحه الثقة بالنفس!!

لقد أصبحت على يقين من أني وأمثالي من الصغار يجب أن نتوارى ونفسح المجال للكبار..

وحينما تلتفت إلى الوراء وتُلقي نظرة على تاريخك ثم لا تستصغر ماضيك، فاعلم بأنك لم تكبر، وأنك ما زلت صغيرًا كما كنت!

وتكبُـــرُ في عـــينِ الصَّـــغيرِ صِـــغارُها وتصـــغُرُ في عـــينِ العظـــيمِ العظـــائمُ!

إن تقديم الكبار وإفساح المجال لهم وعدم مزاحمتهم سنة نبوية يقررها قول النبي –صلى الله عليه وسلم-: (كبِّر، كبِّر)، وكان السلف يلتزمون بهذا المبدأ، ولهذا قيل: "لا يُفتى ومالك بالمدينة".

أخيرًا.. أقول للمُحتَجزِين في مغارة تنظيم الدولة:

إن ظلام المغارة يحجب عنكم أشعة الشمس وضياءها، وسترون الأشياء على حقيقتها بمجرد الخروج من المغارة..

نسأل الله تعالى أن يعجّل لكم بالفرج..

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ أبو المنذر الشنقيطي.

٢٥ جمادى الآخر ١٤٣٧ هـ.